

## الفصل الثاني يا أهل القرآن

لقد أنعم عليكم ربكم بنعمة عظيمة ومنحة جسيمة فاعرفوا حقها واقدروها قدرها واشكروها يزدكم ربكم منها، فالشكر أساس المزيد وحفظ القرآن كرامة من الله لعبده، واصطفاء من الله له ولكن احذر أن يكون القرآن حجة عليك لا لك وإليك أحبتي بعض الوصايا والنصائح أقدم بين يديها أقوالاً للسلف الصالحين وأسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصادقين المخلصين.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم قد وضع لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالاً على الناس <sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: من قرأ القرآن فكأنها استدرجت النبوة بين جنبه غير أنه لا يوحى إليه. ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسهو فيمن يسهو أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفصل القرآن <sup>(٢)</sup>.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مضطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يخالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيمًا سكيناً ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا سخاباً ولا صيأحاً ولا حديداً <sup>(٣)</sup>.

(١) «التيبان»، ص [٤١].

(٢) «فضائل القرآن» لابن كثير، ص [٢٩٧] وقال الحويني: والصواب أنه موقوف.

(٣) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/١٦٣ - ١٦٤)، ط: دار المنار.

وقال رحمته : إن الناس أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه <sup>(١)</sup>.

وقال الفضيل بن عياض: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن.

وقال رحمته: ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم <sup>(٢)</sup>.

ومن أروع ما حدث به منذ أيام أن عالماً فاضلاً خيراً لقيه مجموعة من الشباب في المسجد الحرام بمكة المكرمة وكانوا من الفائزين بجوائز عمرة في مسابقة لحفظ القرآن الكريم فأخبروا الشيخ بذلك وقالوا: يا شيخ عظنا وانصحنا فقال الشيخ كلمة تغني عن آلاف النصائح وتبين فهمه وفقهه لكلام ربه إذ قال لهم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء: ٦٦] هذا فقط ما قاله الشيخ وكأنه يقول موعظتك في قلبك فاعمل بها. فكل خير في الدنيا والآخرة قد حواه هذا القرآن الذي حفظتموه ولو عملتم به ما احتجتم إلى نصيح ناصح وتعالوا إخواني نلخص أهم ما ينبغي أن يتحلى به حملة القرآن من أمور.

### ١- الإخلاص هو الأصل والأساس:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال جَلَّ جَلَالَهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]. وعن أبي هريرة رحمته قال قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» <sup>(٣)</sup>.

(١) السابق (١/١٦٤).

(٢) «التيان»، ص [٤٢].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٩٨٥].

قال أبو سليمان الدارني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوسواس.

وقال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه<sup>(١)</sup>.

ولله دُرُ الربيع بن خثيم حين يقول: كل ما لا يبتغى به وجه الله عَزَّ وَجَلَّ يضمحل.  
وعن سفيان قال: أخبرني سريّة الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سرّاً  
إن كان ليحيي الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه<sup>(٢)</sup>.

تذكر دائماً أن كل عمل لا إخلاص فيه لا يعد لك فيه ثواب بل أنت متوعد فيه  
بعقاب فإذا لم تخلص وقعت في الرياء عياداً لله. وأنت أحق الناس بتحقيق الإخلاص  
لأنك عرفت ما جهل الناس، وعرفت حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وخطورة الرياء  
بالأعمال فأخلص في تعلمك وتعليمك أخلص في تعبدك ودعوتك أسأل الله أن يجعلني  
وإياكم من عباده المخلصين.

## ٢- استعمل بما أعطيت في غير كبير:

يا عبد الله، أنت أكرم عند الله من أصحاب العقارات والعمارات والدور والقصور،  
والسيارات والشركات فكل ما هم فيه حساب وكل ما أنت فيه ثواب فلا تمدن عينيك  
إلى زينة أموالهم وبهجة مناصبهم فكل هذا ظل زائل وعارية مسترجعة لا سيما وقد قرأت  
وحفظت قول ربك جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

فإياك أن يروا منك طمعاً في أموالهم وركوناً إلى مناصبهم فأنت في مقام أعلى ورتبة  
أكمل إذا انشغلوا هم عن القرآن بجمع ما ينفقونه في ملذاتهم فانشغل أنت بالقرآن تجد  
كل لذة ومتعة وشتان بين بصير بالعواقب ومفتون بالحاضر!

(١) «مدارج السالكين» (٢/٩٣-٩٤).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/٦١)، ط: دار الوعي بحلب.

إن كثيرًا من أصحاب الأموال يتمنون ما أنت فيه من حفظ القرآن والقيام بالقرآن وذلك بعد ما جربوا الحياة عرفوا سفاهة الدنيا وحقارة حطامها.

هذا واحد من أثرياء الناس يقول باكيًا: كنت في بداية حياتي في كلية شرعية وكنت أقضي وقتًا طويلاً في حفظ القرآن ومراجعته ثم قلت لنفسني ذات يوم! ماذا أصنع بالقرآن؟ بماذا سينفعني؟! أنا أريد مالاً؟ أريد أن أكون صاحب سيارات وعمارات والقرآن لن يحقق لي ذلك يقول: ثم نمت في ذلك اليوم فرأيت في منامي كأني أمسك بالمصحف في يدي وأضمه إلى صدري فأتي إلى آتٍ فاخطف المصحف مني ثم ذهب بعيداً فأصبحت ثم تبدل مجري حياتي ونسيت القرآن كله والتحقت بكلية التجارة، وتخرجت فيها ثم أصبحت ثرياً غنياً ولكن بعد أن بلغ عمره خمسة وستين عاماً. ويقول: وأنا منذ خمس سنوات لا تمر بي ليلة إلا وأنا أبكي حسرة على ما فاتني من حفظ القرآن وتلاوته.

لذلك فأعلم أن ما أنت فيه خير مما فيه الناس فاشكر نعمة الله عليك واستشعر فضل الله عليك ثم تواضع لله جلّ جلاله وتذلل إليه تجد العزة والرفعة في الدنيا والآخرة.

### ٣- اعمل بما علمت فقد أقيمت عليك الحجة:

ما من آية من كتاب الله إلا وهي حجة لك أو عليك، وما من حكم بالحلّال أو الحرام في القرآن إلا وأنت أول المطالبين به لأنك حفظت ووعيت وقد قال رسول الله ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»<sup>(١)</sup>.

فيا من وعى قلبه القرآن احذر أن يكون حفظك له حجة عليك وبرهان عليك بين يدي الله إذا خالفت أمر ربك وأسرفت على نفسك بمجاوزة حدوده قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣]

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

قال الشيخ بكر أبو زيد: ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملاً.

قال الشيخ ابن عثيمين شارحاً لذلك: لا يعد عالماً أي ربانياً فالعالم الذي يعمل بعلمه هو الذي يصدق عليه أنه عالمٌ رباني لأنه يربي نفسه أولاً وغيره ثانياً إذ لا بد من العمل لأنه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة وعالم بعلمه لم يعلمنْ معذب من قبل عابد الوثن<sup>(١)</sup>.

#### ٤- كن عالي الهمة صادق العزيمة:

من تربي على مائدة القرآن واستبصر قلبه بحقائق الفرقان وزكت نفسه بتلاوته فحقيقة به أن يكون عالي الهمة كثير البذل، مبادراً إلى كل خير، حريصاً على تحصيل الأجور والحسنات، صادقاً في تعبد له لربه، سباقاً إلى الطاعات. فهو يضرب في كل طاعة بسهم إنه يزداد كل يوم علماً بالقرآن ويتعلم فيه كل يوم شيئاً جديداً، لا يعرف التوقف والسكون بل هو يفتش عن المعاني ويجالس العلماء ينهل منهم ويستزيد، بل إذا سمع بمعالم عنده نوع من علم سارع إليه وسافر إليه.

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِعَيْشٍ مُّعَجَّلٍ      كَفَانِي مِنْهُ بَعْضَ مَا أَنَا فِيهِ  
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمُلْكٍ مُخَلَّدٍ      فَوَ أَسْفَا إِنَّ لَمْ أَكُنْ بِمُؤَلَّاقِيهِ

إن له في كل قرينة نصيب تلمح نور الطاعة على وجهه، وتري أثرها في خلقه فهو كثير الصلاة، كثير الصيام، له في كل وقت طاعة تناسب ذلك الوقت، في مواطن الخير تجده، إنه مبارك أينما كان، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويدعو إلى الله، فإذا حلَّ في

(١) «شرح حلية طالب العلم» لابن عثيمين [٢٠-٢١] دار الدعوة الإسلامية.

مكان فقد حلت فيه الطاعات وتوارت عنه المعاصي والسيئات فكن ذلك الرجل ادع الناس إلى الله، مر بالمعروف بمعروف وانه عن المنكر بغير منكر، فحمله القرآن هم قدوة للناس في كل باب من أبواب الخير، هم أسوة للصالحين لأنهم أهل القرآن خير الخليقة بشهادة رسول الله ﷺ لهم.

حُزْنٌ وَحْيَ اللَّهِ لَمْ يُرْغِبْهُمْ  
لَكُنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِالَّذِي  
صَدَقُوا وَإِخْلَاصٌ وَحُسْنُ عِبَادَةٍ  
وَتَوَرُّعٌ وَتَزَهُدٌ وَتَعَزُّفٌ  
وَدَيَانَةٌ وَصَيَانَةٌ وَأَمَانَةٌ  
وَأَدَاءٌ فَرَضٌ وَاجْتِنَابٌ مَحَارِمٍ  
يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ إِنَّ تَكْ هَكَذَا  
وَمَتَى أَضَعْتَ حُدُودَهُ لَمْ تَنْتَفِعْ

أَهْلًا لِحِفْظِ كَلَامِهِ الْمُخْتَارِ  
فِيهِ مِنَ الْمَشْرُوعِ لِلْأَبْرَارِ  
وَقِيَامُ لَيْلٍ مَعَ صِيَامِ نَهَارٍ  
وَتَشَبُّهُ بِخَلَائِقِ الْأَخْيَارِ  
وَتَجَنُّبُ لِحَلَائِقِ الْأَشْرَارِ  
وَادَامَةُ لِلْحَمْدِ وَالْأَذْكَارِ  
فَلَكَ الْهَنَاءُ بِفَوْزِ عُقْبَى الدَّارِ  
بِحُرُوفِهِ وَسَكَنَتْ دَارَ بَوَارِ

اللهم اجعلنا بالحق قائمين، وهدى نبيك مقتدين واجعلنا لوجهك ناظرين في جنات النعيم إنك ولي ذلك والقادر عليه.

### ٥- إياك أن تنساه فتُنسى؛

من عظمة القرآن وعزته أنه لا يبقى إلا في قلب يقظ يديم مراجعته وتلاوته فإذا أهمل ذلك رحل عنه القرآن ونسي المرء آياته فإن القرآن عزيز يهجر من هجره قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي محمد بيده لهو أشد تفلنًا من الإبل في عقلها» (١).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما مثل صاحب القرآن، كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بئس، لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم بعقلها» (٢).

قال النووي رحمته الله: فيه كراهة قول نسيت آية كذا وهي كراهة تنزيه وأنه لا يكره قول أنسيتها وإنما نهي عن نسيتهما لأنه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنه وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَنْكَأَيْنَتُنَا فَنَسِينَهَا﴾ [طه: ١٢٦]، وقال القاضي عياض أول ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول أي نسيت الحالة حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه (٣).

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: قوله «واستذكروا القرآن» أي واطبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به (٤).

وفي حديث سمرة بن جندب الطويل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالَا لي: انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟»

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٣١]، ومسلم برقم [٧٨٩].

(٢) رواه البخاري برقم [٥٠٣٢] ومسلم برقم [٧٩٠].

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣/ ٣٣٥)، ط: دار الحديث.

(٤) «فتح الباري» (٨/ ٦٩٩)، ط: دار الريان.

وفي تأويل ذلك قال له الملكان: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله : قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جنابة عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس<sup>(٢)</sup>.

لذلك أحذرك أخي الحبيب وأحذر نفسي من نسيان القرآن وهجره والإعراض عنه فأدم تلاوته، وأدم مراجعته وأثبت على ذلك ومن أنفع ما يثبت به الحفظ ويقوي به القيام بالقرآن في صلاة الليل نسأل الله من فضله العظيم قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه»<sup>(٣)</sup> اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وارزقنا حسن التهجد به بين يديك إنك بكل جميل كفيـل وأنت حسـبنا ونعم الوكيل.

## ٦- أخلاقك ثمرة إيمانك وعملك؛

كما أن خير الكلام كلام الله تعالى فكذلك إن خير الناس من اشتغل به مخلصاً لله عزَّ وجلَّ لذا كان لزماً على أهل القرآن أن تكون أخلاقهم أحسن الأخلاق وسلوكياتهم أقوم وأعدل السلوكيات فخلق المرء عنوانه، خلق المرء هو الترجمة الواقعية لعلمه وإيمانه وعلى قدر امتلاء القلوب بالعلوم النافعة يكون حسن الأخلاق وطيبها وإن من إجلال حامل القرآن للقرآن وتعظيمه له أن ينأى بنفسه عن كل خلق ذميم صيانة لحق القرآن ورعاية لحرمة بل ينبغي أن يكون داعية بجميل خلقه إلى القرآن، لا بد أن يحبب الناس في القرآن وتلاوته وحفظه بروعة أخلاقه وجميل شمائله وصفاته لأنهم يطالعون في حامل

(١) رواه البخاري برقم [٧٠٤٧].

(٢) «الفتح» (١٢/ ٤٦٤).

(٣) رواه مسلم برقم [٧٨٩].

القرآن ثمرة تعلمه لكتاب ربه، وقد قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (١).

وقال ﷺ: «إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسانكم أخلاقاً» (٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قال لي فرعون بارك الله فيك قلت: وفيك وفرعون قد مات (٣).

قال الحسن: من ساء خلقه عذب نفسه.

لكل شيء زينة في الورى      وزينة المرء تمام الأدب  
قد يشرف المرء بأدابه      فينا وإن كان وضع النسب

## ٧- كن مباركاً أينما كنت؛

حملة القرآن لابد أن يكونوا هم حراس الدين وحماة الشرع يدممون الشرك والبدعة ويسحقون الفسوق والفجور بحكمة ورحمة ثم هم أول الدعاة إلى التوحيد الصافي والاتباع الصادق لرسول الله ﷺ مجالسهم بالخير عامرة، يهدون الحائرين ويرشدون التائهين ويعلمون الجاهلين وتعليمهم للناس يتشر الدين وينبغي أن يكونوا هم أحق الناس بقول رسول الله ﷺ: «أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكروا الله» (٤).

قال ابن مسعود للربيع بن خثيم: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيته إلا ذكرت المختبين.

(١) رواه الترمذي برقم [٢٠٧٠] وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» برقم [١٦١٨].

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٠١٨] وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٢٠١].

(٣) «صحيح الأدب المفرد» رقم [٨٤٨].

(٤) رواه الطبراني في «الكبيرة» [١٢٣٢]، وصححه الألباني في «الصحيحة»، رقم [١٧٣٣].

وقال أبو إسحاق السبيعي عن شيخه عمرو بن ميمون الأودي: كان إذا روي ذكر الله.  
وكان محمد بن سيرين رحمه الله إذا مر في السوق فما يراه أحد إلا ذكر الله تعالى.  
وقال الحسن البصري: الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء.

نعم يا حامل القرآن ينبغي أن تكون نافعا للناس ناصحا لهم، حريصا على أن يقبلوا  
على القرآن وعلى ذكر الله جلّ جلاله، كن نفاعا للخلق بعلمك وهديك فقد كرمك الله  
وشرفك فكن للتكريم أهلا.

أي أخي، لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالله واعجباً لمن يدعي  
المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه فلا يذكره إلا بمذكر! أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك  
تذكر المحبوب لو تغذى القلب بالمحبة لذهب عنه بطنة الشهوات. لو استنشقت ريح  
الأسحار لأفاق منك قلبك المخمور<sup>(١)</sup>.

## ٨- لتكن رغبتك في الآخرة رغبة عن الدنيا؛

يا أهل القرآن، لتكن رغبتكم فيما عند ربكم فما عند الله خير أبقى لاسيما وأنتم  
أعرف الناس بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧] وقول  
الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(١٥)</sup>  
﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
[هود: ١٥-١٦] لا بد أن تكونوا أرغب الناس في الآخرة وأزهد الناس في الدنيا فإياك  
أن تطلب بحفظك وتعلمك له وتعليمك إياه عرض الدنيا ويكون هو كل همك وغاية  
قصده إياك أن تميل إلى الدنيا مع المائلين فتؤثرها وتقدمها، وتفتن عن غايتك العظمى  
وهي الدار الآخرة، إنه لا بأس أن يتقاضي المرء مالا يتقوت به يأتيه من خلال تعليم  
القرآن لكن لا ينبغي أن لا تركز إلى ذلك وحده بل نيتك وقصده بتعليمك لا بد أن

(١) «الفوائد» لابن القيم (٩٦-٩٧).

تكون رضوان الله . دع أهل الدنيا في دنياهم غارقين وأقبل أنت على الآخرة فلهم شأن ولك شأن آخر فبالقرآن تعظم قيمتك ومنزلتك في الدنيا والآخرة بالقرآن ينبل قدرك وترتفع مكانتك. بالقرآن لا بالدنيا. قال المزني سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته.

وعن يحيى بن معين قال: بلغني أن الأعمش قال: أنا ممن رفعه الله بالقرآن لولا القرآن لكان على رقبتى دنّ صحناء أبيعه وقال أيضًا: لولا القرآن وهذا العلم عندي لكنت من بقالي الكوفة.

وممن رفعه الله بالقرآن أبو العالية رفيع بن مهران وكان مولى لامرأة قال رَحِمَهُ اللهُ : كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل السرير فتغامزت بي قريش فقال ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرة.

وكان المحدثون يعظمون أهل القرآن تعظيمًا كبيرًا فهذا الإمام شيخ الإسلام وشيخ المقرئين والمحدثين سليمان بن مهران الأعمش رَحِمَهُ اللهُ مع أنه كان معروفًا بشدته على طلاب الحديث يقول:

كان يحيى وثاب من أحسن الناس قراءة ربما انتهيت أن أقبل رأسه من حسن قراءته وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد.

وقال الحسن بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام كان يبدأ بأهل القرآن ثم يأذن لأصحاب الحديث وكان لا يرى استصغار حامل القرآن بل لا بد من توقيره فإن معه أعظم وأفضل ما يرفع له الناس<sup>(١)</sup>.

فأنت يا حامل القرآن أولى الناس بتحقيق ما حقر الله وتعظيم ما عظم الله وغايتك أكمل ومقصودك أنبل، فقيمته ما تطلبه وقدرة كل امرئ ما كان يحسن وأكرمكم عند الله

(١) «حرمة أهل العلم» (٢٨٣-٢٨٤)، ط: دار الإبان.

أتقاكم ولا يستوي عند الله من سارع إليه وسابق إلى مرضاته ونافس الخلق إليه وآخر  
تثاقل إلى الأرض واتبع هواه فانطلق إلى ربك إلى بصيرة وخذ من القرآن زادك ونورك  
وبالله استعن وعليه توكل ولوجهه فاعمل.

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| قرب الرحيل إلى ديار الآخرة   | فاجعل إلهي خير عمري آخره   |
| وارحم مبיתי في القبور ووحشتي | وارحم عظامي حين تصبح ناخرة |
| فأنا المسكين الذي أيامه وُدّ | ت بأوزار غدت متواترة       |
| فلئن رحمت فأنت أكرم راحم     | ويحار جودك يا إلهي زاخرة   |

#### ٩- الزم خشية ربك ومراقبته حتى تلقاه:

يا أهل القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم من خشية ربكم؟ ما هو أثر القرآن  
العظيم في قلوبكم؟! علمتم فهل عملتم؟! حفظتم وقرأتم فهل تدبرتم؟! هل رقت  
قلوبكم ودمعت عيونكم واقشعرت أبدانكم؟! يا أهل القرآن من أولى بذلك منكم؟! إنه  
على قدر علمك بالله تخشاه وعلى قدر جهلك تكون جرأتك وغفلتك قال الله جَلَّ جَلَّالَهُ  
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطَةُ: ٢٨]

قال الله جَلَّ جَلَّالَهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقال ربنا جَلَّ وعلا:  
﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ١٧٥] وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى  
يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي المرء ما حرم الله عليه»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: أن  
تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الحديث يتضح أن المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه  
على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله

(١) رواه البخاري [٥٢٢٣]، ومسلم رقم [٢٧٦١].

(٢) رواه مسلم برقم [٨].

سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت ولحظة وكل نفس وطرفة عين وقد قيل من راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه وقال ذو النون: علامة المراقبة إثارة ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله.

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ونفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك<sup>(١)</sup>.

### أي أخي:

من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس ومن عرف ربه اشتغل به عن هوي نفسه، أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه، وأخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس، من تلمح حلاوة العاقبة هان عليه مرارة الصبر، لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له.

قليل لبعض العباد: إلى كم تتعب نفسك؟ فقال: راحتها أريد.

أي أخي: من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه، للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس فمن هتك الستر الذي بينك وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

- للعبد ربُّ هو ملاقيه، وبيتٌ هو ساكنه، فينبغي له أن يترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل الانتقال إليه.

- إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

- الدنيا من أولها التي آخرها لا تساوي غمَّ ساعة فكيف بغم العمر.

(١) «تهذيب مدارج السالكين»، ص [٣١١]، ط: المكتبة القيمة.

-أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل الوقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها.

-ولو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب. ولو نفع العمل بغير إخلاص لما ذم المنافقين<sup>(١)</sup>.

فيا أهل القرآن، لستم على شيء حتى تقيموا القرآن! يا أهل القرآن لا بد أن تكونوا أنتم نبض الأمة وحركتها، وسبيل نهضتها من غفلتها، كونوا نوراً يهدي، وبرهاناً يسطع، وحجة ترشد وتقوّم، من يحمل هم الدين إن لم تحملوه أنتم؟ من ينصره وينشره إن لم تنصروه وتنشروه؟ من أحق بدلالة الخلق على الحق غيركم؟ كم رجلاً اهتدى على يديك؟ كم إنساناً حفظ القرآن وأحبه وصار منهج حياته على يديك؟ كم أدباً علمته؟ كم خيراً نشرته؟ أين دورك في إغزاز الأمة؟! إياك أن تكون بارداً متثاقلاً إلى الأرض فإن في صدرك أعظم الإعجاز وأبهي الحج وأصدق البراهين وسر الحياة وروحها فاحفظ نعمة الله بشكرها والقيام بحقها.

حقاً أخي إن مسئوليتك أمام الله كبيرة ودورك المنتظر منك عظيم فاحذر سؤال الله لك يوم القيامة عن واجب الدعوة والتعليم والبلاغ وعن القيام بحق هذا القرآن الذي أنعم عليك بحفظه. هيا سر إلى ربك على بصيرة وابدل ما استطعت لتصل إلى رضوان ربك، ومعك القرآن هنيئاً لك بما أعطيت ولكن قم بحقه وأد شكر النعمة يزدك الله منها.

أنقى من الفجر الضحوك وأصدق  
غيث به تحيا القلوب وتخفق  
ورشادهم في ظله يتحقق

يا حامل الذكر الحكيم تحية  
قرآننا روح الحياة ونبضها  
هوللورى دستور حق خالد

(١) من كلام ابن القيم في كتاب «الفوائد».

وبغيره تشقى النفوس وتزهق  
خرست حناجر بالدعاوى تنعقُ  
شهباً تبید الظالمين وتحرقُ  
فتمسكوا دوماً به وتخلقوا  
عند الجزاء تجارة لا تنفقُ  
يرجو به عيش الجنان ويعشقُ  
هيا اقرؤوه ورتلوه وارثقوا

هو للنفوس البائسات سعادة  
هو في السلام إذا ارتضينا حكمه  
وهو الذي في الحرب نرسل آیه  
الله شرفكم بحمل كتابه  
قوموا به ليلاً طويلاً تريحوا  
طوبى لمن هجر المنام وقامه  
بشرى لكم يوم القيامة قوله





## خَاتَمَةٌ

أحبي إخوتي، القرآن نورنا وحياتنا، سبيلنا وعنواننا، به تمسكنا وإليه انتهائنا، له نغار وبه نشبث ونعمل ولو مزقت أشلائنا وسفكت دماؤنا وهل لنا شرفٌ بغيره؟! وهل لنا عزة بدونه؟! وهل لنا بقاء إلا به؟! وهل لنا وجود أو حياة إلا بالقرآن المجيد؟! فيه مجدنا وطمأنينة قلوبنا فيه نجاتنا وعقيدتنا وشريعتنا فيه أخلاقنا، وهو الأصل والأساس في كل حياتنا ولا يفرط فيه إلا مخذول، ولا يعرض عنه إلا محروم ولا يصد عنه إلا ملحد كفور، أو زنديق موتور أو جاهل مغرور أو سكران مخمور.

القرآن سر فلاحك وسبب فوزك فليتك تقبل عليه بحب وشغف وتكثر من تلاوته وتدبره وسماعه، فالقرآن إخوتي - أنيسنا في وحشتنا، ورفيقنا في غربتنا، ودواءنا عند مرضنا، وجلاء همومنا وذهاب أحزاننا، هو قرة عيوننا وبهجة قلوبنا، نتلوه في خلواتنا وفي وأسفارنا، وأثناء الليل والنهار في بيوتنا لأنه كلام ربنا.

نعم القرآن وما أدراك ما القرآن! كلام الله الملك الرحمن فحق على كل من آمن بالله أن يعظم هذا القرآن وأن يوقره، ويحكمه ويتدبره، ويتلوه ويتعلمه، ويدارسه ويعلمه، ليت البشرية تدرك عظمة القرآن وشدة حاجتها إليه!! فوالله ثم والله إن في هذا القرآن - وفيه وحده - الإنقاذ الكامل لهذه البشرية الغارقة في التيه والضلال، المكبل بالآصار والأغلال، في القرآن وحده ذهاب هذا القلق المفرع والكدر المؤلم والانتحار المتكرر الذي نراه ونسمعه كل يوم بل كل لحظة، وفي القرآن وحده شفاء هذه الأمراض النفسية المحطمة التي تكدست بها الدول والمستشفيات، وفي القرآن وحده تطهير الأرض من هذه الغوغائية والمادية القاتلة التي لا يرحم فيها الإنسان أخاه الإنسان، بل الكلمة فيها للقيومي مهما كان خبيثاً مفسداً، والنفاق هو السبيل الوحيد لمن أراد أن يعيش آمناً وإن كانت حياته مهنية ذليلة وكأن عُرف الغابة هو الذي يسيطر ويسود!!

والقرآن هو الذي يملك الخلاص الحقيقي والاستقرار الآمن، وهدوء الخاطر ومنتعة الحياة فيا أمة القرآن لا بد أن تكون حياتكم به ومفزعكم إليه وتحليكم بأخلاقه ودعوتكم إليه ليري العالم كله فيكم أمة مثالية فيها كل معالم الخيرية، وأنتم كذلك إذا أخذتم بحبل الله المتين، ونوره المبين، بأيديكم وحدكم مشعل الهداية الأعظم، وسبيل الحق الأوحى، وطريق المجد الأجل، والعزة الأتلد، فهيا نزيل ذلك الران الذي غطي القلوب ونذهب تلك الوحشة التي سيطرت على النفوس ولنسارع إلى القرآن ونأخذ به ونمتع قلوبنا وألستنا وأذاننا وعقولنا بتلاوته وسماحه وتدبره فهو المعجزة الباقية والحجة البالغة الشافية، ولا ولن تسعد أنت ولا ولن أسعد أنا ولا ولن تسعد الخليقة كلها إلا بالقرآن.

فالقرآن ان القرآن يا أمة القرآن!!

يارب أول شيء قاله خلدي أني ذكرت في سرّي وإعلاني  
فو الذي قد هدى قلبي لطاعته لأذهبن بوحى منك أحزاني

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وارزقنا إقامة حدوده وحروفه وحفظه وتدبره. وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله والحمد لله رب العالمين

وكتبه  
سيدى عطاء

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات

## قائمة المراجع

- ١- إعجاز القرآن، الباقلائي، ط مكتبة مصر.
- ٢- إعجاز القرآن، الراجعي، ط التوفيقية.
- ٣- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، لابن القيم، ط مكتبة الإيمان.
- ٤- أسرار التكرار في القرآن، الكرمانى، ط دار الفضيلة.
- ٥- أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.
- ٦- أضواء البيان، للشنقيطي، ط ابن تيمية.
- ٧- آيات الله في الآفاق، للزنداني.
- ٨- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ط المختار الإسلامي.
- ٩- الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان، د. نبيل الشنواني، ط دار القلم.
- ١٠- الإصابة، لابن حجر، ط دار الكتب العلمية.
- ١١- الانتصار للقرآن، الباقلائي، ط دار ابن حزم.
- ١٢- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط دار الحديث.
- ١٣- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ط دار الكتب العلمية.
- ١٤- التبيان في علوم القرآن، محمد على الصابوني، ط مكتبة الغزالي بدمشق.
- ١٥- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ط مؤسسة التقويم.
- ١٦- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ط التوفيقية.
- ١٧- التبصرة، لابن الجوزي، ط دار الحديث.
- ١٨- التسهيل لتأويل التنزيل، للشيخ مصطفى العدوي، ط ماجد عسيري.
- ١٩- التفسير القيم، لابن القيم، ط دار الصفا.
- ٢٠- التوارة والإنجيل والقرآن، د. موريس بوكاي، ط مكتبة القرآن.
- ٢١- الحذف البلاغي في القرآن، مصطفى أبو شادي، ط مكتبة القرآن.

- ٢٢- الجراء من جنس العمل، د. العفاني، ط ابن تيمية.
- ٢٣- الداء والدواء، لابن القيم، ط دار ابن رجب.
- ٢٤- الرقة والبكاء، لابن قدامة، ط التوفيقية.
- ٢٥- الشفا بتعريف أحوال المصطفى، للقاضي عياض، ط دار ابن رجب.
- ٢٦- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط دار صادر.
- ٢٧- العائدون إلى الله، لمحمد المسند.
- ٢٨- العظمة، د. عائض القرني، ط دار ابن حزم.
- ٢٩- الفوائد، لابن القيم، دار إحياء الكتب العربية.
- ٣٠- القرآن معجزة المعجزات، أحمد ديدات، ط مكتبة القرآن.
- ٣١- القرآن يتحدى، أحمد عز الدين، ط دار صادر.
- ٣٢- القرآن في حياة المسلم، د. محمود محمد عمار، ط مكتبة الإيمان.
- ٣٣- القواعد الحسان، السعدي، ط دار الاستقامة.
- ٣٤- المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي.
- ٣٥- المحتضرين، لابن أبي الدنيا، ط، دار ابن حزم.
- ٣٦- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، المباركفوري، ط دار السلام.
- ٣٧- اللغة الباسلة، د. فتحي جمعة، ط دار الثقافة العربية.
- ٣٨- المعجزة الكبرى، الشيخ أبو زهرة، ط دار الفكر.
- ٣٩- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، د. أحمد مصطفى متولي، ط دار ابن الجوزي.
- ٤٠- النبأ العظيم، د. محمد دراز، ط دار القلم.
- ٤١- الهوية، د. محمد إسماعيل المقدم، ط دار ابن الجوزي.
- ٤٢- الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان، ط الرسالة.
- ٤٣- الوسيط في تفسير القرآن، الواحدي، ط دار الكتب العلمية.
- ٤٤- بصائر في الفتن، د. محمد إسماعيل المقدم، ط الدار العالمية.

- ٤٥ - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ط دار الكتب العلمية.
- ٤٦ - تاريخ الخلفاء، السيوطي، ط دار المنار.
- ٤٧ - تدبر القرآن الكريم، الفوزان، ط دار الإيمان.
- ٤٨ - تدبر القرآن، سلمان السنيدي، ط مجلة البيان.
- ٤٩ - تذكرة السامع والمتكلم، ابن جماعة، ط دار رمادي.
- ٥٠ - تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ط التوفيقية.
- ٥١ - تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، ط دار الكتب العلمية.
- ٥٢ - تفسير الماوردي، للإمام الماوردي، ط دار الكتب العلمية.
- ٥٣ - تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ط دار ابن الجوزي.
- ٥٤ - تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، البسّام، ط مكتبة الرشد.
- ٥٥ - تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، ط المكتبة القيمة.
- ٥٦ - حرمة أهل العلم، د. محمد إسماعيل المقدم، ط مكتبة دار الإيمان.
- ٥٧ - حلية الأولياء، أبو نعيم، ط دار الكتب العلمية.
- ٥٨ - حياة الصحابييات، فؤاد سراج، ط التوفيقية.
- ٥٩ - دليل الأنفس في القرآن، محمد توفيق، ط دار السلام.
- ٦٠ - دراسات في علمي المعاني والبديع، د. حسن طبل، ط مكتبة الزهراء.
- ٦١ - زاد المسير، ابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية.
- ٦٢ - زبدة التفسير، محمد الأشقر، ط وزارة الأوقاف بالكويت.
- ٦٣ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، ط الرسالة.
- ٦٤ - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ط المكتب الإسلامي.
- ٦٥ - شرح حلية طالب العلم، ابن عثيمين، ط دار الدعوة الإسلامية.
- ٦٦ - صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ط دار النفائس.
- ٦٧ - صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، ط دار الحديث.

- ٦٨- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، ط المكتب الإسلامي.
- ٦٩- صفة الصفوة، ابن الجوزي، ط دار المنار.
- ٧٠- عون المعبود، شمس الحق آبادي، ط التوفيقية.
- ٧١- عمر بن الخطاب، د. الصلاي، ط دار التقوي.
- ٧٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ط الريان.
- ٧٣- فصل البيان في العلاج بالقرآن، محمد رمضان، ط دار الإيخان.
- ٧٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط دار الشروق.
- ٧٥- فضائل القرآن لابن كثير، تحقيق الحويني، ط ابن تيمية.
- ٧٦- فضائل القرآن، أبو الفضل الرازي، ط دار البشائر.
- ٧٧- لماذا أسلم صديقي، د. إبراهيم خليل، ط مكتبة التراث.
- ٧٨- لا يأتون بمثله، محمد قطب، ط دار الشرق.
- ٧٩- مبشرات النصر والتمكين، د. العفاني، ط معاذ بن جبل.
- ٨٠- محاسن التأويل، القاسمي، ط دار الحديث.
- ٨١- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ط دار العقيدة.
- ٨٢- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط العبيكان.
- ٨٣- مجلة الإعجاز العلمي، هيئة الإعجاز العلمي.
- ٨٤- مجلة الشريعة والدراسات.
- ٨٥- معالم أصول الفقه، الجيزاني، دار ابن الجوزي.
- ٨٦- مفاتيح تدبر القرآن، د. خالد اللاحم، ط دار الصديق.
- ٨٧- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ط التوفيقية.
- ٨٨- من أعلام السلف، د. أحمد فريد، دار العقيدة.
- ٨٩- من آيات الإعجاز العلمي، أحمد فراج، ط دار الشروق الدولية.
- ٩٠- موسوعة ﴿وَلَنَّاكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، المبار كفوري، ط دار كندة.

- ٩١- موسوعة الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ط وزارة الأوقاف بقطر.
- ٩٢- موسوعة القصص الواقعية، مصطفى كامل، ط الدار العالمية.
- ٩٣- معارج القبول، حافظ حكيمي، مركز الهدى.
- ٩٤- نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي، ط دار الكتب الحديثة.
- ٩٥- ﴿وَلَا نَقْرَبُكَ الزَّيْفَ﴾، الشيخ مصطفى العدوي، ط مكتبة مكة.

